

في العموم إنَّ معظم الناطقين بالسريانية من سريان وكلدان وأثوريين ونخيم⁽²⁾ درجوا على استخدام هذه الأسماء، تارة بصورة ثلاثية، وأحياناً بصورة ثنائية (سرياني آشوري) وأخرى منفردة (سرياني، آشوري، كلداني) للدلالة على وحدة الهوية والانتماء إلى شعب واحد يمتلك عدداً من الخصائص والمزايا الثقافية والقومية التي تميزه من غيره من الشعوب. وبما يتجاوز التقسيمات الكنسية التي يتوزع عليها أبناء هذا الشعب.

والاسم السرياني هو حصيلة للحقب الحضارية كلها التي مرت بها المنطقة، الأكادية والبابلية والآشورية والآرامية، وعرفت المنطقة منذ القرن الخامس قبل الميلاد باسم أسوريا المتأتية من اسم أثور، آشور، أسور، وأثوريا وأسوريا وتالياً سوريا، وعرف شعبها تبعاً لذلك باسم السريان اشتقاقاً حرفياً للاسم الآشوري أو تنويعاً لفظياً له. كما يؤكد عدد من المؤرخين⁽³⁾ والباحثين⁽⁴⁾ والأهم من ذلك هو في كيفية تقديم أبناء الشعب وتعريفهم لأنفسهم، وكيفية تعاطي النخب الدينية بمختلف تسميات كنائسها مع هذه المسألة،⁽⁵⁾ و⁽⁶⁾ كذلك فإنَّ الأحزاب والمؤسسات السريانية لا تفرق بين الاسمين السرياني والآشوري⁽⁷⁾. بناء على ذلك، فإنَّ أغلبية النخب المؤثرة في المجتمع باتت تنظر

النضال السرياني الآشوري في سورية ضد القمع البعثي

كبرييل موشي كورية⁽¹⁾

أولاً: مقدمة تاريخية: من هم السريان الآشوريون؟

يعد الشعب السرياني الآشوري من أقدم الشعوب في منطقة بلاد ما بين النهرين وسوريا ببعدها الجغرافي الطبيعي، وهذه حقيقة يدركها القاصي والداني وتعززها باستمرار المكتشفات الأثرية التي ظهرت وتظهر في المواقع المكتشفة كلها حتى الآن. وخلال مسيرته الإنسانية والحضارية الموعلة في القدم، عُرف هذا الشعب بعدد من الأسماء التي ورثها من أسلافه، ولقرونٍ طويلة أطلقت التسمية السريانية على كنائسه المتعددة وما تزال، في ما زاد الاسم الآشوري شيوعاً واستعمالاً مع نمو الوعي القومي عند شعوب المنطقة في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، ورُسِّخ أكثر مع نشوء تنظيمات سياسية قومية تبنت هذا الاسم بالمعنى القومي الشامل الذي يستوعب التسميات الأخرى كلها من دون أن يزيحها من التداول، لا سيما الاسم السرياني الذي عومل بوصفه صنوً ومرادفًا للاسم الآشوري. تعدّد التسميات في واقع الأمر خلق حالة من الإرباك لدى الشركاء من الشعوب الأخرى، التي تولّد لديها انطباع بوجود شعوب أو هويات متعدّدة تتبع لهذه الكنيسة أو تلك، ووقّر الذرائع لبعض أتباع هذه الكنائس وبعض رؤسائها للتقوقع على الذات من خلال تغليب التباينات اللاهوتية على حساب المشتركات اللغوية والثقافية والقومية، إمّا حفاظاً على امتيازات محدّدة أو خوفاً من الانخراط في مشروعات سياسية قد تستجّر نقمة الحكومات عليها، وإخراجها بذلك من السكينة التي أُلْفَتها بعد قرون من الذمّة المديدة.

(2) أحمد حسن البكر، رئيس مجلس قيادة الثورة، القوانين والتشريعات العراقية، wiki.dorar.net aliraq قرار مجلس قيادة الثورة في العراق رقم (251) لعام 1972 والقاضي بمنح الحقوق الثقافية للمواطنين الناطقين باللغة السريانية من الآثوريين والكلدان والسريان، <http://wiki.dorar.net/iraqlaws/?p=6202&url=https://lnnk.in/hLg8>

(3) Simo Parpola, Assyrian Identity in Ancient Times and Today, Assyrian youth federation (AUF), (Sweden March 27, 2004), <https://rb.gv/9n2fg>

الدكتور سيمو باربولا (Simo Parpola) عالم معروف دولياً في علم الآشوريات. حاصل على الدكتوراه في أسيرولوجي من جامعة هلسنكي في 1971، وهو حالياً (أستاذ أسيرولوجي) من جامعة هلسنكي. يعمل أستاذاً مساعداً في جامعة شيكاغو وأستاذاً زائراً في كل من جامعة بادوا والجامعة العبرية، القدس. وكان أيضاً شريك بحوث (مستشاراً خاصاً) للقاموس الآشوري شيكاغو (CAD). وهو مدير المشروع النيو-الآشورية لأكاديمية فنلندا. وهو رئيس تحرير لمحفوظات الدولة من آشور (SAA) عضو (مجلس الحضارات ما بين النهرين) في جامعة جونز هوبكنز.

(4) سعد سعدي، "السريان تسمية ودلالة"، ع2، مجلة الكرمة، (1999)، ص 34-5.

(5) بطاركة الكنائس ذات التراث السرياني، بيان مشترك، Vatican News، المقر البطريركي للسريان الأرثوذكس، لبنان، العطشانة، 2022/12/16، <https://lnnk.in/dCli>

(6) رسالة من البطريرك مار كبريكس الثالث بطريرك الكنيسة الآشورية الشرقية موجبة إلى رئيس جمهورية العراق يتمنى عليه إدراج اسم (السريان) مع إخوانهم الكلدان والآشوريين عبر تعديل المادة (125) من الدستور العراقي وفق السياقات الدستورية المتبعة. الرسالة بتاريخ 28 أيلول/سبتمبر 2016.

(7) وثيقة تفاهم سياسي بين حزب الاتحاد السرياني والمنظمة الآشورية الديمقراطية، Syriac-press، (1 نيسان، 2022).

فائق⁽¹⁰⁾،⁽¹¹⁾ ويوحنا دولباني⁽¹²⁾ (وجلبهم من كنيسة السريان الأرثوذكس) غلب في كتاباتهم وأشعارهم (التي تحولت لاحقاً إلى أناشيد قومية تناقلتها الأجيال) استخدام الاسم الأشوري من دون إغفال التسميات الأخرى (السرياني، الآرامي، الكلداني) بوصفها جزءاً من إرثهم الحضاري الواحد الذي ما تزال كنهائهم تتباهى باستخدامها مع إضفاء شيء من الخصوصية عليها. نسجت الأحزاب القومية التي أسست لاحقاً، على هذا المنوال، وتبنت الاسم الأشوري اسماً قومياً شاملاً كرسه رواد النهضة القومية. في البداية أسست المنظمة الأثورية الديمقراطية في سوريا عام 1957 (الاسم الأثوري هو اللفظ السرياني للاسم الأشوري)، ثم أسست الحركة الديمقراطية الأثورية في العراق عام 1979، وبعدها الاتحاد الأشوري العالمي في باريس عام 1968. بعد ذلك نشأت أحزاب حملت التسميات (السريانية، الآرامية، الكلدانية)، واللافت أنّ هذه الأحزاب جميعها بمختلف تسمياتها تتوجّه بخطابها السياسي إلى الحاضنة الشعبية نفسها، وتكاد مطالها تتشابه إلى حد التطابق تبعاً لظروف كل دولة تنشط داخلها.

كانت المرة الأولى التي استُخدمت فيها التسمية المركّبة في مؤتمر السلم في باريس عام 1919 عندما قدّم وفد تكوّن من كنائس هذا الشعب معظمها ترأسه المطران أفرام برصوم (لاحقاً أصبح بطيركاً للكنيسة السريانية الأرثوذكسية) مطالبه باسم الشعب الكلدوآشوري⁽¹³⁾. وفي مؤتمر بغداد

(10) عبود زينتون، نعوم فائق والنهضة السريانية الأثورية، ط1، (فيزيادان: دن، 2020)، ص. 16.

نعوم فائق: هو نعوم بن الياس بالاخ، ولد في ديار بكر عام 1868، لقب بـ (فائق) جرّياً على عادة الأتراك في ذلك الزمان. تعلّم السريانية والعربية والتركية والفارسية في المدرسة الثانوية في ديار بكر. عمل بالتدريس من سنة 1888 حتى 1912 عندما هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية وتوفي فيها عام 1930. ويعد رائد النهضة القومية عند السريان الأثوريين. أصدر عام 1908 جريدة كوكب الشرق باللغات السريانية والعربية والتركية في ديار بكر (تركيا). ثم جريدة (ما بين النهرين) في أميركا (1916-1929). تولّى رئاسة تحرير جريدة (الاتحاد) التي أنشأها الجمعية الكلدانية الأثورية عام 1921. له عشرات المؤلفات تتناول جوانب قومية ولغوية وتراثية.

(11) دم، "ملكون ملكون، 173 عاما من تاريخ الصحافة السريانية الأثورية - الرواد والمسيرة والنماذج"، موقع سيرجيل، (2022/10/30)، الرابط: <https://2h.ae/HZEO>.

(12) المطران غريغوريوس يوحنا ابراهيم، دولباني ناسك ماردين: مار فيليكسينوس يوحنا دولباني- حياته ومؤلفاته، ط1، (حلب: دار ماردین للنشر، 1999).

يوحنا يوسف دولباني المعروف بـ (فيليكسينوس يوحنا دولباني) (1885-1969)، كان مطران ماردین للسريان الأرثوذكس كما اشتهر بكونه كاتباً ومؤلفاً بالسريانية والعربية والتركية.

(13) رويون بيت شمونيل، الأثوريون في مؤتمر الصلح باريس 1919، ط1، (العراق- دهوك: دن، 2000).

للاسم السرياني بوصفه خلاصة تاريخية لمجمل حضارة ما بين النهرين وسوريا، حيث عزّزت هذه التسمية وكُرست أكثر مع انتشار المسيحية واعتناق السريان لها والتبشير بها في معظم العالم القديم شرقاً وغرباً، وأصبحت اللغة السريانية بشقيها الشرقي والغربي التي ظلّت لمدة تقارب الألف عام؛ لغة رسمية منذ القرن السابع قبل الميلاد وحتى القرن السابع الميلادي⁽⁸⁾. وما تزال اللغة السريانية بلهجتها الشرقية والغربية، حيّة في الليتورجيا والطقوس الكنسية لدى الكنائس السريانية كلها (السريانية الأرثوذكسية والكاثوليكية، كنيسة بابل للكلدان، الكنيسة الأثورية الشرقية، كنيسة المشرق القديمة، الكنيسة المارونية). فقط الكنيسة الملكية (الروم الأرثوذكس والكاثوليك) تخلت عن اللغة السريانية في طقوسها لمصلحة العربية واليونانية، على الرغم من استمرار اللغة السريانية حيّة في الحياة اليومية لدى أبناء الكنيسة الملكية في مدينة معلولا، إلى جانب المتحدثين بها من المسلمين من أهالي قريتي جبعدين وبخعا المجاورتين لها في جبال القلمون.

بعيداً عن الغوص في أعماق التاريخ، ومن أجل تفادي الدخول في جدل التسميات الذي ما يزال يشغل كثيرين من أبناء هذا المكوّن، فإنّ الاسم الأشوري في مرحلة النهوض القومي في مطلع القرن العشرين، طغى استعماله على بقية الأسماء بوصفه اسماً قومياً شاملاً يتجاوز الطوائف ويستوعب التسميات الأخرى، وكذلك لأسبابٍ سياسية ونفسية تهدف إلى استنهاض المشاعر والمعنويات من خلال ربط الحاضر بأجداد الدولة الأثورية القديمة. لم يقتصر هذا السلوك على السريان آنذاك، بل سارت عليه شعوب عدة وحركاتها القومية في الشرق والغرب من أجل شدّ العصب القومي من خلال ربط الحاضر بماضي مجيد بأحداثه وأبطاله (العرب، الكرد وغيرهم). لهذا فإنّ رواد النهضة القومية الأوائل من أمثال آشور يوسف⁽⁹⁾ ونعوم

(8) سعد سعدي، "السريان تسمية ودلالة".

(9) آشور يوسف: ولد آشور يوسف في مدينة خربوط عام 1858 م، أعدمته الأتراك في مذابح عام 1915، وأنشأ جريدة مرشد الأثوريين للغاية التي بدل عليها اسمها. اي لتكون مرشداً لبني قومه في سبيل الإصلاح.

إسحق قومي، "المناضل القومي الصحفي البرفسور آشور يوسف"، موقع الحوار المتمدّن، ع: <https://2u.pw/lfEMOK2>. (7 / 2 / 2023)، 7515

السرياني في سورية يمتد آلاف السنين، وهناك مئات من المواقع الأثرية في الجزيرة وعلى امتداد رقعة الوطن السوري، تدلّ على آثارهم، وتشير بوضوح إلى عراقة الوجود الإنساني والحضاري السرياني وقدمه في هذه المنطقة، حيث تزدان متاحف الوطنية السورية والمتاحف العالمية بكنوز هذه المواقع. لهذا يعدّ السريان أنفسهم جزءاً أساسياً وأصيلاً من النسيج الوطني الاجتماعي في سوريا. ما يزال الموروث الثقافي واللغوي والميافيزيقي للثقافة واللغة السريانية حاضراً في وقتنا الحاضر في الموسيقى والغناء الشعبي وعدد من التعبيرات في اللهجات المحكية وفي أسماء مئات المدن والقرى التي لا يمكن فهم معانيها إلا باللغة السريانية.⁽¹⁴⁾

يعيش السريان في عدد من المدن السورية كحلب وحمص ودمشق، وتعدّ الجزيرة السورية من أهم معاقلهم. وتعدّ أيضاً من مراكز النهضة القومية التي شهدتها القرن العشرين. وقياساً بعمرها القصير، فإنها عرفت واحدة من أكثر المراحل حيوية في التاريخ السرياني المعاصر وبمختلف المجالات الفكرية والثقافية واللغوية والاجتماعية. ولعب السريان في الجزيرة دوراً أساسياً في بناء عدد من المدن والبلدات في الجزيرة مثل القامشلي وقبور البيض وديريك وعامودا والدراسية وأعادوا إعمار رأس العين والحسكة، وذلك بالتعاون مع شركائهم العرب والأكراد والأرمن. وما إن استقرت الدفعة الأخيرة من السريان (الأشوريين النساطرة) على ضفاف نهر الخابور، حتى بدأ هذا الشعب بإرساء دعائم حياته ومؤسساته وعمل على بناء علاقات متينة مع شركائه وفق أسس تقوم على الاحترام المتبادل، بعيداً عن نوازع الشك والارتياب، من أجل خلق واقع أكثر إيجابية. فتعاون الجميع على تثبيت قواعد الثقة والتعاون قبل الاستقلال وبعده، من خلال المشاركة في الأحزاب والمؤسسات الوطنية.

منذ تأسيس الدولة السورية، شارك السريان في الحياة العامة سواء في حقبة الانتداب الفرنسي أم بعد نيل الاستقلال، وذلك بالتوازي مع انصرافهم إلى إنشاء مؤسساتهم الخاصة كالمدراس والأندية الرياضية والجمعيات الثقافية والاجتماعية والفرق الكشفية، وعملوا بالتعاون مع شركائهم على تثبيت قواعد الثقة والتفاهم

عام 2003 جرى تبني الاسم الثلاثي (الكلداني السرياني الأثوري).⁽¹⁴⁾

إنّ التسمية المركبة (ثنائية أو ثلاثية) قطعاً لا وجود تاريخي لها، وإنّ استعمالها بالتأكيد ينطلق من دوافع سياسية تبنتها النخب والأحزاب السريانية الأثورية معظمها في سوريا والعراق، وفرضتها الحاجة إلى اعتماد وحدة الانتماء القومي لهذا الشعب بمختلف تسمياته، وضمان حقوقه في الدستور والتشريعات والقوانين الوطنية، وكذلك الهرب من معضلة تعدّد التسميات ومنع استخدامها ذريعة للانقسام.

وجدنا هذه المقدمة ضرورية لمنع حصول أي التباس لدى القارئ، وسنحاول في هذا البحث التزاماً بالمحاور التي وضعتها إدارة مجلة قلمون استخدام الاسم السرياني بمفرده ولكن بمعناه الواسع والشامل.

ثانياً: السريان في سوريا

يشمل الوجود السرياني دول المشرق معظمها: في سوريا، العراق، تركيا، لبنان، الأردن، إيران. ولكن لسورية منزلة خاصة لدى عموم السريان في كل مكان لأنها حملت اسمهم وحملوا اسمها كما قال قداسة بطريرك مار اغناطيوس زكا الأول عيواص بطريرك أنطاكية وسائر المشرق والرئيس الأعلى للكنيسة السريانية الأرثوذكسية في العالم في معرض كلمته في الجلسة الافتتاحية لمؤتمر التراث السرياني التاسع المقام في مكتبة الأسد بدمشق تحت رعاية وزارة الثقافة السورية بالتعاون مع مركز الدراسات السريانية التابع للرهبانية المارونية الأنطونية في لبنان.⁽¹⁵⁾

يرتبط السريان أيّاً كانت جنسياتهم الحالية والبلدان التي يعيشون فيها، برباط عاطفي متين بسورية، وينظرون إليها بوصفها وطن الآباء والأجداد. وفي الحقيقة فإن الوجود

(14) سليمان يوسف، "نداء إلى المؤتمر القومي الأثوري/السرياني/الكلداني في العراق"، موقع إيلاف، (2003/10/13)، <https://2u.pw/uE81Wm0>.

(15) سليمان يوسف، "سوريا موطن السريان ومهد الحضارات تحتضن مؤتمر التراث السرياني التاسع"، الحوار المتمدن، العدد: 810، (20/4/2004)، <https://lnnk.in/dHk>.

(16) كرم دوي، "السريان الأثوريون في سورية"، مرصد الشرق الأوسط وشمال أفريقيا الإعلامي <https://lnnk.in/a6kq> (2017/10/MENA)، (10)

و: سليمان يوسف، "زلزال العراق يحرق (الثور) الأثوري وضيء (النجم) الكلداني ويحيي (اللغة) السريانية وبعدها تحتضن المؤتمر القومي (الكلدواثوري)"، إيلاف، (2003/10/31)، <https://2u.pw/GGaxsj>

والاقتصادية بعيداً عن الأطراف.⁽¹⁸⁾

إلا أنّ تصاعد الخطاب القومي العربي الناصري والبعثي الذي مثل نهجاً وفكراً أحاديّاً شمولياً تنكّر لحقيقة التنوع القومي والثقافي في البلاد، وسعى إلى صهر الآخر ضمن البوتقة العربية، إضافة إلى فشل الحكومات والأحزاب الوطنية الأخرى في إنجاز عملية التحوّل الديمقراطي وتحقيق العدالة والمساواة للمواطنين جميعهم، وتنامي النزعة القومية وصعودها لدى الشعوب الأخرى في الوطن. دفعت الشباب المثقف إلى التفكير بتشكيل حركة سياسية خاصة بالسريان الأثوريين، قادرة على تجسيد طموحاتهم وتطلعاتهم القومية والوطنية. فجاء تأسيس المنظمة الأثورية الديمقراطية في الخامس عشر من تموز/ يوليو عام 1957 بصفتها أول تنظيم سياسي في تاريخ هذا الشعب، على يد مجموعة من الطلاب المتحمسين، ولم تكن مصادفة أن يأتي ذلك بعد شهر واحد من تأسيس أول حزب كردي في سورية على الرغم من عدم وجود أي علاقات سياسية في حينها، وهذا يشير إلى تشكّل متغير موضوعي ودخول عامل جديد يتجسّد في مطالبة الأقليات بحقوقها داخل المجتمع السوري في حينها.⁽¹⁹⁾

المخاوف والهواجس معظمها التي انتابت أبناء الأقليات من تصاعد المد القومي العربي قد تحقّقت بعد سنة مع قيام دولة الوحدة بين سورية ومصر محمولة على موجة ناصرية طاغية، مهدّت لقيام الحكم العسكري الشمولي المرتكز إلى منظومة أمنية صارمة، ألغت الحقبة الليبرالية القصيرة التي عرفت البلاد بعد الاستقلال، ووضعت الأحزاب والتنظيمات القومية التي أنشأتها للتو نخب الأقليات أمام اختبار وجودي قاسٍ، زادت وطأته مع استيلاء حزب البعث على السلطة في سورية عام 1963.

وترسيخ أسس العيش المشترك. وكان لهم دور فاعل في صنع النهضة الاقتصادية التي شهدتها الجزيرة على الصعيد الزراعي والصناعي والتجاري، وكانوا أوّل من أخضع الطبيعة القاسية والأراضي البور عبر استخدام العلم والآلة، ففي أقل من عشرة سنوات تحوّلت أراضي حوض الخابور الجرداء إلى قرى عامرة وواحات غنّاء، كما نقلت مزارع عائلي أصغر ونجار الرائدة والشهيرة في منطقة رأس العين سورية إلى مصاف الدول المتقدمة زراعياً. وكان لهم دور بارز في تفويت الفرصة على فرنسا في فصل الجزيرة عن سوريا عام 1937، حيث كان لموقف قداسة البطريك مار أفرام برصوم الأول بطريك الكنيسة السريانية الأرثوذكسية والمطران قرياقس تنورجي مع القوى والشخصيات الوطنية الأخرى دور مهم في إفشال هذه الخطة، وفي إفشال الفتنة الأهلية التي دبرتها بعض الفئات في مدينة عامودا والدرباسية والحسكة عام 1937 في سياق الخطة المذكورة أعلاه. وشارك السريان بمختلف طوائفهم بفاعلية في مجمل الحياة السياسية، وفي الانتخابات البرلمانية ومن السياسيين المعروفين في تلك المرحلة سعيد اسحق والياس نجار.⁽¹⁷⁾

تنطوي البيئة الاجتماعية للسريان الأثوريين على تنوّع في الانتماءات والمواقف السياسية مثلهم مثل بقية أطياف الشعب السوري. ومنذ تأسيس الدولة السورية انخرطوا في الأحزاب السورية بتنوعها قبل الاستقلال وبعده، حيث أقبلوا على الانتساب إلى الأحزاب السورية التقليدية التي نشأت في كنف الانتداب واستمرت في مرحلة الاستقلال مثل الكتلة الوطنية وغيرها. وبعد استيلاء البعث على السلطة، انضم كثيرون منهم إلى الأحزاب الإيديولوجية التي اتسعت رقعة انتشارها وتأثيرها في المشهد السياسي السوري أملاً في نيل الاعتراف بوجودهم وهويتهم القومية، وضمان حقوقهم بوصفهم مواطنين بالتساوي مع بقية السوريين. فكان منهم الشيوخي والبعثي والسوري القومي. وتجربتهم في هذا المجال لا تختلف كثيراً عن تجربة السوريين في بقية المحافظات ومن بقية ألوان الطيف السوري. إلا أنهم بفعل العوامل الموضوعية التي لم تعد تخفى على أحد، فشلوا في النفوذ إلى عمق المجتمع والتأثير في الحياة السياسية كما يجب بسبب بعدهم عن المركز الذي احتكره الفاعلية السياسية

(18) كرم دولي، "السريان الأثوريون في سورية".

(19) كرم دولي، "السريان الأثوريون في سورية".

(17) كرم دولي، "السريان الأثوريون في سورية".

من بينها الديمقراطية بالتأكيد. وضمن هذه القوى كان هناك كثيرون من الناشطين السريان من مختلف الطوائف عملوا في صفوف الأحزاب الشيوعية والحزب السوري القومي ليس بدلالة انتمائهم القومي أملاً بقيام دولة علمانية تقوم على أسس المواطنة المتساوية، ومن انتسب إلى البعث أثر تبديل انتماءه والتدثر بالعباءة الواسعة للقومية العربية، طمعاً في مكاسب وامتيازات موعودة لا يمكن بلوغها عبر الانتماء القومي والديني الضيق، ومن هؤلاء برزت بعض الشخصيات السريانية التي انحازت إلى بعث العراق ضد البعث السوري، بعضهم تراجع عن موقفه، ومنهم من واصل عناده فبُطش به لاحقاً وبكل قسوة.

في تلك المرحلة لم يكن في صفوف السريان من يجرؤ على تقديم نفسه بدلالة هويته القومية سوى المنظمة الأثورية الديمقراطية التي أسست قبل سنوات قليلة من أجل المحافظة على الوجود القومي السرياني وضمان حقوق السريان، وكانت التنظيم السياسي الوحيد الذي يعمل في صفوفهم. وبسبب الافتقار إلى الخبرة والتجربة السياسية لدى الجيل الأول والثاني من أعضائها، وأمام اشتداد القبضة الأمنية، وارتفاع ضجيج الشعارات التي تبشّر بقرب الوحدة العربية وفق النمط البعثي الذي صنّف التعبيرات السياسية كافة الممثلة للقوميات غير العربية بوصفها تعبيرات سياسية مشبوهة (رجعية، انعزالية، شعبية.. إلخ) تعادي تطلّعات الجماهير وتشغلها عن معاركها المصرية. في هذا الجو المحموم والموتور، اضطرت المنظمة (على الرغم من نهجها السلمي المطلبي) إلى الانكفاء على الذات، واعتماد نهج السريّة الصارمة في نشاطها، محافظة على هيكلها التنظيمي وكوادرها من البطش، وركّزت عملها في الحيز الثقافي والاجتماعي والتبشير بالفكر في إطار مجتمعها القومي الخاص، ومن خلال المؤسسات والجمعيات التابعة للكنائس.⁽²¹⁾

بدورها لم تسلم الكنائس ومؤسساتها من المضايقات، والمراقبة، حيث أغلق نادي الرافدين الشهير عام 1962، ولم تسمح سلطة البعث بإعادة افتتاحه، بل على العكس أجبرت رياضيه على الانضمام إلى نادي الحرس القومي التابع لها،

ثالثاً: دور السريان في مقاومة القمع البعثي

أحدث انقلاب العسكر الذين امتطوا إيديولوجيا البعث عام 1963 صدمًا عميقًا في الحياة السياسية في سورية، وقطع كلياً مع المرحلة القصيرة التي شهدت البلاد فيها إرهابات الانتقال إلى دولة وطنية حديثة كان يتطلّع إليها السوريون، وأجهض محاولات صوغ هوية وطنية جامعة تضم السوريين بمختلف انتماءاتهم القومية والدينية. ونُحيت قضايا التحوّل الديمقراطي، وحلّت مسألة التعدّد القومي، وبناء دولة القانون والمؤسسات جانباً وسُحبت من التداول نهائيًا، وهي قضايا لم تكن من أولويات الحكم الجديد ولم تحظَ باهتمامه أصلاً. على العكس عدها قضايا ثانوية، وفي أحسن الأحوال مؤجلة، إلى حين تحقيق الوحدة العربية ودحر الاستعمار والصهيونية، وحسم الصراع العربي - الإسرائيلي الذي احتلّ موقعاً مركزياً في خطاب الحكومات التي شكّلها البعث وفكرها، وما يزال (هذا الصراع) يُتخذ ذريعة من البعث للإحجام عن إجراء أيّ إصلاحات ديمقراطية.⁽²⁰⁾

في هذه الأثناء، واصل البعث تأميم الشركات ومصادرة الأراضي والأموال مكملاً ما بدأه عبد الناصر في دولة الوحدة، ما دفع كثيرين من الصناعيين والمزارعين الكبار من السريان وغيرهم إلى مغادرة البلاد، في حين استفادت شرائح من الفلاحين السريان من توزيع الأراضي عليهم مثل كثير من السوريين في الأرياف ومن المحافظات كافة، وقاد هذا سريانيين كثير إلى الانتساب إلى حزب البعث ليس قناعةً بإيديولوجيا البعث، وإنما درءاً من اهتمامهم بمناهضة أهداف الثورة، وأملاً في الحصول على مناصب ووظائف وامتيازات حُجبت عن غير البعثيين، ونتيجة لذلك تحصّل البعث على خزان بشري استخدمه بدهاء في إجهاض مختلف التوجّهات السياسية في المجتمع. وبعد أن استتبّت الأمور للحكم في إثر انقلابات عسكرية متتالية ضد رفاق السلاح والعقيدة، وبعد قمع التحركات المناهضة له، وفي إثر هزيمة حزيران/ يونيو 1967 لم يكن من المستغرب أن تتدافع بعض القوى اليسارية والقومية العربية لدعمه وصولاً إلى التحالف معه بوصفه نظاماً تقدّمياً تجمعها معه كثير من المشتركات ليس

(21) كراس أصدرته المنظمة الأثورية الديمقراطية بمناسبة اليوبيل الذهبي لتأسيسها، ص 8 و9. <https://shorturl.at/kCU58>

(20) كراس أصدرته المنظمة الأثورية الديمقراطية بمناسبة اليوبيل الذهبي لتأسيسها، ص 8. <https://shorturl.at/kCU58>

الرسمية للاستماع إلى مطالبهم وإسماعهم كلامًا يطيب لهم، وهو تقليد استمرّ مع وراثته. ثم أعاد تدريجيًا فتح المدارس السريانية الخاصة التابعة للكنائس مع إخضاعها للرقابة الكاملة وتعيين مديرين بعثيين لها.

في بداية عهده عين الأسد الأب وزراء ومحافظين من البعثيين السريان⁽²²⁾ وكذلك أعضاء في مجلس الشعب وفي مجالس المحافظات والبلديات وبخاصة من محافظة الحسكة. ثم أصبح هذا نهجًا راسخًا في الحكومات معظمها التي شكّلت في عهده وتواصلت في عهد ابنه.

مع توقيع ميثاق الجبهة الوطنية التقدمية الذي وافقت بموجبه مجموعة من الأحزاب اليسارية والقومية والناصرية على دخول الجبهة وعلى تكريس حزب البعث قائدًا للدولة والمجتمع، بدأت تظهر ملامح معارضة سورية نتجت من الانشقاقات التي حصلت داخل الأحزاب الإيديولوجية التي تظهّرت في صورة تيارات، سرعان ما تحوّلت إلى أحزاب حملت الأسماء نفسها، حيث رفضت هذه التيارات التنازلات المقدّمة من قيادات أحزابها لحزب البعث. وبعد إقرار دستور الأسد عام 1973 ودخول الجيش السوري إلى لبنان، وتصاعد العنف المسلّح على خلفية الصراع الدموي بين النظام والطليعة المقاتلة المحسوبة على جماعة الإخوان المسلمين الذي اتخذ أبعادًا طائفية، ازدادت حدّة الانتقادات لسياسات النظام، بالتوازي مع سعي هذه الأحزاب إلى تنظيم نفسها وتشكيل جبهة مضادة. واجه النظام هذه التحركات بشدّة وصرامة من خلال الأجهزة الأمنية وأطلق حملات اعتقال بدأت في منتصف السبعينيات واقتصرت بدايةً على المنتسبين إلى بعث العراق، لتبلغ هذه الحملات ذروتها في مطلع الثمانينيات، ولم تستثن أيًا من أحزاب المعارضة ولا حتى منتسبي النقابات المستقلة. وشملت هذه الاعتقالات عددًا من الشخصيات السريانية التي كانت تنشط في صفوف حزب بعث العراق، والحزب الشيوعي- المكتب السياسي وحزب العمل الشيوعي، ومن لم يطالهم الاعتقال أجبروا على التخفي والتواري أو الهرب إلى خارج البلاد.

في ظل هذه الأجواء وازبغت المنظمة الأثورية الديمقراطية على السرية محافظة على هيكلها التنظيمي،

وعام 1969 أغلقت المدارس السريانية الخاصة التابعة للكنائس التي أسست في ثلاثينيات القرن الماضي. ودفعت منتسبي البعث من السريان إلى التغلغل في المؤسسات السريانية من أجل تدجين هذه المؤسسات والتحكّم فيها، وهذا النهج ما زال مستمرًا من دون انقطاع. هذا كله خلق حالة من النفور والاستياء وعدم الاستقرار دفعت بكثير من الناشطين والوجهاء وأصحاب الكفاءات إلى مغادرة البلاد ليشكلوا أولى طلائع الهجرة عند السريان التي لم تتوقف منذ ذلك الوقت، وإنما تواصلت بتواتر تبعًا للأوضاع السياسية والاقتصادية والأمنية التي سادت في البلاد.

في سردنا أشكال مقاومة السريان لقمع البعث، اعتمدنا مبدأ التحقيب الزمني في كل عقد منذ سيطرة البعث على الحكم في سورية، ولا سيما بعد استيلاء حافظ الأسد على السلطة. حيث اتخذت الممارسات السلطوية أشكالًا شتى، راوحت بين تشديد القبضة الأمنية وإرخائها أحيانًا. ومعها تأرجحت ردات أفعال السريان وغيرهم من السوريين بين الاعتراض أو الانكفاء تبعًا للظروف التي عاشوها في ظل هذا الحكم.

في السبعينيات، وبعد انقلاب حافظ الأسد عام 1970 وسيطرته على مقاليد الحكم. انتهج في السنوات الأولى سياسة مختلفة نسبيًا عن شركائه الذين انقلب عليهم، تمثّلت في الانفتاح على الأحزاب السورية بمختلف أطيافها الإيديولوجية، وكذلك على البورجوازية المدنية في كل من دمشق وحلب التي تضرّرت مصالحتها بشدّة في السنوات السابقة، وأعطائها أملًا في إمكانية استعادة منزلتها ودورها في حال تأييده وإظهار الولاء له. ونجح في استقطاب رجال الدين من الأديان والطوائف كافة وجذبهم ومنهم رؤساء الكنائس السريانية. وبالنسبة إلى السريان وتحديدًا السريان الأرثوذكس، فإنّ الأسد الأب سمح بالبرّ المباشر للاحتفالات الدينية بالطقس السرياني التي تقام بمناسبة الأعياد عبر الإذاعة السورية والتلفزيون الرسمي، وعلى جري العادة التي ألقها السوريون في استغلال النظام للمناسبات الدينية، فإنّ حافظ الأسد كان يوفد ممثلًا (غالبًا وزير الدولة لشؤون الرئاسة) عنه لتقديم التهاني بالأعياد لرؤساء الطوائف. في السياق ذاته كان يحرص على استقبال رؤساء الكنائس بين مدة وأخرى مثلما كان يستقبل المشايخ من المؤسسة الدينية

(22) من أسماء الوزراء: أنطون جبران، دنحو داوود، والمحافظين: دنحو داوود وأرام صليبيا.

على الرغم من أنّ المنظمة الأثورية الديمقراطية في تلك المرحلة اعتمدت خطاباً هادئاً وعقلانياً، أعطت فيه الأولوية للأوضاع الداخلية للسريان، ولم تسع إلى التصادم مع النظام، ولم تحاول أن تتجاوز خطوطه الحمر في تعاطيها مع الشأن العام السوري. فإنّ النظام كعادته عمل على خلق شروخ وانقسامات بين المكونات وداخل كل مكون على حدة. وفي هذا السياق، فقد لجأت الأجهزة الأمنية عام 1984 إلى استخدام بعض رجال الدين في الكنيسة السريانية ومعهم بعض الرعايا والزعران من عملائها، في شن حملة شرسة على المنظمة وتشويه سمعتها ومواقفها بذريعة الارتباط مع جهات خارجية مشبوهة، بهدف إبعاد كل من يُشبهه بأنّه أثوري من المدارس والمؤسسات السريانية. لكن المنظمة لم تنجّر إلى مثل هذه المهاترات، وتحاشت الدخول في مثل هذا الصراع العبيّ، ولم يسلم من هذه الحملة حتّى رئيس أبرشية السريان في الجزيرة المطران قرياقس تنورجي الذي اتهم بالتعاطف مع الأثوريين. وقد أصدرت المنظمة بياناً بتاريخ 10/9/1984⁽²⁵⁾ فضحت فيه مخططات الأجهزة الأمنية الرامية إلى ضرب فئات المجتمع بعضها ببعض. وأفضل هذا المخطط من خلال التعاطي العقلاني والمسؤول للمنظمة، وعدم رضوخ رئيس الأبرشية لابتزاز هؤلاء، وبسبب التفاف وجهاء المجتمع وشرائحه حول المنظمة ما أدّى إلى رفض هؤلاء ونبذهم اجتماعياً.⁽²⁶⁾ إنّ هذا النهج الذي مارسه البعث في استخدام البعثيين وعملاء المخابرات في التضيق على المنظمة استمرّ إلى يومنا هذا، وتجلّى في أبشع صوره بعد انطلاق الثورة عام 2011 عندما هاجم هؤلاء مقرّ المنظمة في القامشلي بسبب مشاركتها في التظاهرات السلمية، ولم يتورّع هؤلاء عن وصمها بالإرهاب كعادة النظام باتهام كل معارض له بأنّه إرهابي وعميل للخارج. هذه البيئة المعادية للمنظمة التي رعاها النظام، شكّلت واحداً من أبرز التحديات التي واجهت المنظمة وما تزال، لكنّها في الوقت نفسه زادت من صلابتها وإصراراً معتمدة على تماسكها التنظيمي وسمعتها الطيبة بين شرائح واسعة من السريان، على الرغم من اختلاف بعضهم معها في التوجّهات السياسية.

عقدت المنظمة مؤتمرها العام السادس عام 1985

(25) عزيز آجي، موجز تاريخ المنظمة الأثورية الديمقراطية من عام 1957-1999، (القامشلي، سوريا: إصدار خاص، 2001)، ص 56.

(26) عزيز آجي، موجز تاريخ المنظمة الأثورية الديمقراطية من عام 1957-1999، ص 57.

واقصر نشاطها على العمل التوعوي التبشيري، وإقامة النشاط الحزبي مثل إحياء المناسبات القومية (كرأس السنة البابلية الأثورية الأكيثو وغيرها) في نطاقٍ ضيقٍ ومحدود، وإصدار بيانات ونشرات تتضمن انتقادات ذات نبرة هادئة للممارسات السلطوية والتنديد باستشراء الفساد الإداري والاجتماعي، والدعوة إلى إجراء إصلاحات، وتوسيع هامش الحريّات وإفساح المجال أمام القوى الوطنية لممارسة دورها في خدمة البلد وتحقيق مصالح أبناء المجتمع. عبّرت أيضاً عن مخاوف السريان من مآلات الصراع الدموي بين النظام وجماعة الإخوان المسلمين، وخشيّتهم من قيام نظام حكم ديني، ونظرت إلى هذا الصراع بوصفه امتداداً للحرب الطائفية التي كانت تشتدّ استعارةً في لبنان، ورأت أنّ استمرار هذا الصراع من شأنه أن يطيح استقرار المجتمع ويستثير الفتنة الطائفية وما لذلك من تداعيات سلبية على مكونات المجتمع كلها ومن ضمنها السريان.

في ثمانينيات القرن الماضي، وبعد القضاء على تمرد الطليعة المقاتلة، وسحق أشكال المعارضة كلها، وإيداع آلاف المعارضين في السجون والمعتقلات. دبّ الخوف في النفوس، والتزم الناس بالهدوء والسكينة من جزاء تضخّم حجم الأجهزة الأمنية ودورها، وتدخّلها في أدق تفاصيل حياة الناس. وبات الناس يخشون إدراجهم في لوائح المشبوهين وفق التصنيفات التي اعتمدها أجهزة المخابرات لشرائح المجتمع التي اشتغل عليها المخبرون الذين ضوعفت أعدادهم. في الجزيرة السورية كان يُشكّ في كل متديّن بأنّه من الإخوان المسلمين، وكل عربي غير بعثي يوصم بالصدّامية (موالٍ لصدّام حسين)، وكل كردي بأنّه بارزاني، وكل سرياني بأنّه كتائبي (نسبة إلى حزب الكتائب اللبناني)، ونتيجة لهذا التصنيف، وبناء على تقارير الوُشاة تُجّ بعشرات الشباب السريان في السجون بعد أن جاؤوا من لبنان للالتحاق بخدمة العلكم مستفيدين من قرارات العفو الصادرة آنذاك. قضى معظمهم عشرات السنين في السجون⁽²³⁾ وبعضهم لم يُعرف مصيره إلى اليوم.⁽²⁴⁾

(23) من أبرز السجناء الذين اهتموا بالانتماء إلى الكتائب يعقوب شمعون الذي اعتقل عام 1985 وأطلق سراحه عام 2011 بعد اندلاع الثورة السورية. انظر: حملة التضامن التي أطلقها المنظمة الأثورية الديمقراطية من أجل الإفراج عنه <https://lnnk.in/bnjj>

(24) ملكي يوسف كورية من مواليد 11 نوفمبر عام 1961 في مدينة القامشلي بمحافظة الحسكة، اختطف بتاريخ 7 تموز/ يوليو 1978 على أيدي المخابرات العسكرية، وما يزال مصيره مجهولاً. انظر: بيان الشبكة الأثورية لحقوق الإنسان <https://lnnk.in/hRg2>

تأسيسها ومناسبات قومية متعدّدة والمشاركة في الاحتفالات التي تدعو إليها الأحزاب الأخرى مستفيدة من سياسة غض النظر التي اتبعتها السلطة أحياناً حيال الأحزاب الخاصة بالأقليات، وشهدت تلك الحقبة انفتاحاً على بعض الأحزاب الوطنية وأحزاب الحركة الكردية، وزاد انخراطها في الشأن العام وتناوّل القضايا الداخلية بجرأة أكثر من ذي قبل.

شهد عقد التسعينيات تحولاتٍ دولية كبيرة تمثلت في انهيار الاتحاد السوفياتي، وانتهاء الحرب الباردة، وظهور نُدر حرب تحرير الكويت. سعى النظام إلى ملاقة هذه التحولات، واتخذ الأسد الأب بعض الخطوات توجي بالرغبة في التكيّف مع هذه التحولات من خلال إحداث بعض الانفراجات الشكلية، وبدأت بالإفراج على دفعات عن بعض شخصيات المعارضة التي أمضت سنوات طويلة في السجون، ثم إجراء انتخابات مجلس الشعب عام 1990 التي أعطى فيها لأول مرة هامشاً للمستقلين وسمح لهم بالتنافس على بعض المقاعد من دون أن يؤثر ذلك في هيمنة حزب البعث وحلفائه في الجبهة واستحواده على مقاعد المجلس أغلبها. مع ذلك تدافعت كثير من الشخصيات ورؤساء العشائر ورجال الأعمال ومن مختلف الشرائح لخوض هذه الانتخابات. ومن القوى السياسية شاركت فيها أحزاب الحركة الوطنية الكردية، والمنظمة الأثورية الديمقراطية، فيما قاطعتها أحزاب المعارضة المعروفة التي أنهكها النظام. مثلت هذه الانتخابات تحدياً حقيقياً للمنظمة لاختبار شعبيتها وقدرتها التمثيلية في أوساط السريان بمختلف طوائفهم، على الرغم من وجود قناعة مسبقة بأنّ النظام سيتدخل في توجيه العملية الانتخابية لمصلحة أزماله في نهاية المطاف. وبعكس التوقّعات، أسفرت النتائج في محافظة الحسكة عن نجاح مرشّح المنظمة بشير سعدي وثلاث شخصيات من قيادات الأحزاب الكردية. وفي هذه المشاركة، برهنت المنظمة على قدرة تمثيلية تفوق بمراحل شعبية المنافسين كلهم في المجتمع السرياني بما في ذلك المرشحين الذين ساندتهم الكنائس والطوائف. وقد شاركت المنظمة بالتحالف مع أحزاب الحركة الكردية في بعض انتخابات الإدارة المحلية والانتخابات المهنية وحقّقاً معاً بعض النجاحات والاختراقات ضد مرشّحي البعث وأحزاب الجبهة. في الدورات اللاحقة لانتخابات مجلس الشعب، تدارك النظام خطأه، وعاد

وأكد المؤتمر التلازم بين النضال القومي والوطني، ودعا إلى الانفتاح على القوى الوطنية وبناء علاقات تعاون معها.⁽²⁷⁾

وبعد أشهر من هذا المؤتمر، شنت المخابرات الجوية حملة اعتقالات ضد المنظمة، جرت على دفعات، وطالت عشرات (22 شخصاً) من قياداتها وكوادرها خلال عامي 1986 و1987⁽²⁸⁾ هذه الاعتقالات لنخبة من الناشطين السريان من مختلف الطوائف السريانية الأثورية، أثرت في المجتمع كثيراً، وأثارت مخاوف في المجتمع بأنّ هناك استهداف للسريان، وبالتزامن، انتشرت حتى الهجرة بتسارع بين السريان، حيث ترافق هذا الاعتقال مع تدهور متزايد في الأوضاع الاقتصادية والمعيشية، ودفع هذا الواقع بعدد من الجهات والمؤسسات الكنسية والمدنية في الداخل والخارج إلى تكثيف الجهد وممارسة الضغوط والوساطات للإفراج عنهم. واستجاب النظام لهذه الوساطات وأفرج عن المعتقلين جميعهم بتاريخ 1987/3/22، ويمكن تفسير سرعة الإفراج عنهم إلى أنّ النظام ينظر نظرة مختلفة إلى أحزاب الأقليات، وتقييم خطرها لديه يختلف عن تقييم بقية أحزاب المعارضة وخطرها. جاء الإفراج قبل أيام من عيد رأس السنة البابلية الأثورية (الأكيتو) الذي أقيم في الأول من نيسان/ أبريل في إحدى القرى السريانية القريبة من مدينة القامشلي (الوطوطية).⁽²⁹⁾ حيث توافد آلاف إلى المكان للمشاركة في الاحتفال، والتعبير عن التضامن والالتفاف حول المنظمة وقياداتها. ومنذ ذلك الوقت تحوّل عيد الأكيتو إلى احتفال شعبي في الأوساط السريانية كلها في الوطن والمهجر واكتسب هذا العيد بعداً قومياً شاملاً يتعدى الحالة الحزبية كتعبير عن الوجود والتمسك بالبقاء في الوطن. في إثر هذا الاختبار القاسي، اكتسبت المنظمة مزيداً من الصلابة والثقة بالنفس، وشرعت باتخاذ خطوات باتجاه العمل العلني والتخلي تدريجياً عن السرية. وأقامت عددً من الفاعليات مثل إقامة احتفالات سنوية بذكرى

(27) عزيز آجي، موجز تاريخ المنظمة الأثورية الديمقراطية من عام 1957-1999، ص 79-80.

(28) عزيز آجي، موجز تاريخ المنظمة الأثورية الديمقراطية من عام 1957-1999، ص 90-92.

وشمل الاعتقال كلاً من: كبرئيل لحدو، بشير سعدي، نعمان حنا، لحدو كوركيس، عزيز آجي، يونان طلبا، زيا وردا، الياس عنتر، سليمان كورية، سعيد صومي، إبراهيم إيشو، يعقوب جلولو، شموني مرقص، برصوم شرو، موريس لحدو، عبدالأحد جرجو، متويا نوبا، حبيب حنا، يكدان نيسان، توما ملكو، يوسف بهنان، عبد الكرم عيسى.

(29) عزيز آجي، موجز تاريخ المنظمة الأثورية الديمقراطية من عام 1957-1999، ص 93.

الأساسي لأبناء المنطقة الذين أخذوا يفكرون بالهجرة. وبسبب تهرب الحكومة من مسؤولياتها، أخذت المنظمة على عاتقها مسؤولية تأمين مياه الشرب من خلال شراء صهاريج توزع مياه الشرب مجاناً على أبناء (34) قرية في الخابور وذلك بالتعاون مع بعض المؤسسات في المهجر، وأثار هذا الفعل الإنساني والخدمي والبعيد كل البعد عن السياسة نقمة النظام وعملائه واستيائهم، فسارع إلى اعتقال ثلاثة قياديين من المنظمة هم: (عزيز آجي، بشير سعدي ويونان طليا) وأحالهم على محكمة أمن الدولة العليا بالتهم المعروفة، ثم أفرج عنهم بعد أشهر بفعل الضغط الشعبي والجهد المبذول من بعض المؤسسات السريانية في الخارج وكذلك بعض رؤساء الكنائس السريانية.⁽³¹⁾

في مطلع الألفية الجديدة، وبعد وفاة حافظ الأسد، جرت عملية التوريث لابنه بشار الأسد بسلاسة وبموافقة إقليمية ودولية، واستبشر السريان مثل غيرهم من السوريين خيراً بالعهد الجديد بعد إغداق الوعود بالإصلاح والتحديث، حيث لاحت مؤشرات توجي بحصول انفتاح، يمكن تلمس معالمه في صدور بيانات المثقفين، وتشكيل المنتديات ولجان إحياء المجتمع المدني التي بشرت بقدوم الربيع الذي سيجي بربيع دمشق. لكن سرعان ما انقض النظام على هذا الحراك الوطني مستخدماً قبضته الأمنية الثقيلة التي لم تتراخ قط.

على الرغم من ظهور أحزاب أخرى مثل الحزب الأشوري الديمقراطي، وحزب الاتحاد السرياني في الأوساط السريانية، إلا أنّ المنظمة الأثرورية الديمقراطية بقيت وحدها في معترك العمل السياسي المعارض الذي اتخذ مساراً تصاعدياً وتراكمياً في تلك المرحلة وصولاً إلى بداية الثورة السورية عام 2011 حيث كانت جاهزة للانخراط فيها.

في بداية الحراك أي منذ استلام بشار الأسد للسلطة عام 2000، تعاونت وفود قيادية من المنظمة نسقت مع بعض الشخصيات السريانية التي كانت تعمل في صفوف أحزاب المعارضة بعقد لقاءات عدة مع أحزاب المعارضة ورموزها، ومع عدد من الشخصيات الوطنية ولجان إحياء المجتمع

إلى سيرته الأولى في التلاعب بالانتخابات وتزويرها لمصلحة الموالين وقطع الطريق على التعبيرات السياسية المعارضة من الوصول لمجلس الشعب مجدداً. وعلى الرغم من يقين المنظمة ببناء على تجربتها، بأنّ الانتخابات سوف تكون معلية ومزورة وبأنّه لن تتوفر أمامها فرص للنجاح مهما حصلت من أصوات. مع ذلك فإنّها واضلت على المشاركة في الدورات اللاحقة، من خلال اتباع تكتيك يرمي إلى الاستفادة من الفترة القانونية للدعاية الانتخابية التي تمتد نحو شهر، بهدف تحريك قواعدها وتنشيطها وتطوير خبراتهم في التعاطي مع الشأن العام، واستمالة شباب جدد وجذبهم إلى صفوفها، وتعزيز ثقة المؤازرين، وإمكانية الوصول إلى أوسع الشرائح من خلال التجمّعات والندوات لشرح رؤيتها وبرنامجه الذي عرض خطاباً مختلفاً عن الخطاب السائد من خلال التركيز على الإصلاح وأهمية الانتقال التدريجي نحو الديمقراطية، وقد حققت كثيراً من هذه الأهداف على الرغم من تعرّض المندوبين والناشطين الذين عملوا معها للمضايقات والاستدعاءات الأمنية المتكررة التي وصلت إلى فصل بعضهم من وظائفهم.⁽³⁰⁾

في مطلع تسعينيات القرن العشرين، أصدر حافظ الأسد مرسوم الاستثمار رقم (10)، من أجل التمهيد لعملية التوريث، وانتشال الاقتصاد من الأزمات التي يتخبط بها. وللاستفادة من ذلك فإنّ المنظمة الأثرورية الديمقراطية استخدمت نفوذها وتأثيرها لدى الجاليات السريانية في دول المهجر من أجل جلب بعض الاستثمارات وتوطئتها في الجزيرة السورية في صورة مشروعات اقتصادية بهدف تثبيت السريان في وطنهم، والتخفيف من الهجرة التي مثلت خطراً وجودياً بالنسبة إلى السريان وما تزال. للأسف فإنّ هذا المسعى وإن حقق بعض النجاح النسبي، لكنّه لم يستمر بسبب تفشّي الفساد والمحسوبية وتخلف القوانين التي تشجّع على الاستثمار.

في أواسط التسعينيات ظهرت النتائج الكارثية للارتجال وسوء التخطيط المقترنة بالفساد في منطقة الخابور، وتجلّى ذلك بجفاف نهر الخابور، وانقطاع مياه الشرب، وأدى ذلك إلى تضرّر الزراعة ودمار البساتين التي شكّلت مورد الرزق

(31) عزيز آجي، موجز تاريخ المنظمة الأثرورية الديمقراطية من عام 1957-1999، ص 142. اعتقال القياديين الثلاثة بتاريخ 1997/6/24، وأفرج عنهم بتاريخ 1997/11/15.

(30) عزيز آجي، موجز تاريخ المنظمة الأثرورية الديمقراطية من عام 1957-1999، ص 253.

مقتل شابين سريانيين بدم بارد على يد ضابط من إحدى العائلات العربية، واحتجاجاً على تقاعس السلطات المحلية في إبعاد هذه العائلة عن الحي الذي وقعت فيه الجريمة كما تقضي الأعراف في مثل هذه الحالة، وخلال التظاهر اعتدى بعض الشباب على بعض ممتلكات هذه العائلة، ومن جراء ذلك اعتقلت السلطات عشرات من الشباب السريان وحولتهم إلى محكمة الجنايات العسكرية بحلب،⁽³⁴⁾ وبعد أشهر أُفرج عنهم بجهد مشترك من المنظمة والمطران يوحنا إبراهيم الذي حُطِف منذ نيسان/ أبريل عام 2013 وما يزال مصيره مجهولاً.⁽³⁵⁾ وللأسف فإن محاولات النظام في ضرب فئات المجتمع ببعضها وإثارة الفتن بينها استمرت، وظهرت بعد فترة قصيرة في الحادثة التي جرت بين أهالي السويداء والبدو، في ظل غياب القانون أو التطبيق الانتقائي له.

بعد اغتيال رفيق الحريري عام 2005، وقّع مسؤول المنظمة الأستاذ بشير سعدي على عريضة مع 250 شخصية وطنية تطالب بشار الأسد بسحب الجيش السوري من لبنان وصوغ علاقة صحية وندية مع لبنان وتخفيف الضغوط الخارجية على سورية.⁽³⁶⁾

خلال تلك المرحلة ركزت المنظمة في خطابها على إلغاء المادتين الثالثة والثامنة من الدستور السوري، وإقامة نظام ديمقراطي علماني، وإطلاق الحريات العامة، وتوسيع نطاق المشاركة السياسية، وإلغاء أشكال الاحتكار والاستئثار كلها، وتغليب المصلحة الوطنية العليا على الاعتبارات الأخرى كلها. ونادت بعدد سورية وطناً نهائياً لأبنائها كلهم. وعدّ الهوية الوطنية السورية بما تحمله من تنوع حضاري وقومي وثقافي وديني، هوية وطنية جامعة للسوريين كلهم، أيّاً كانت انتماءاتهم. ويتساوى في ظلها الجميع وفقاً لمبدأ المواطنة. وربطت قضية الديمقراطية ربطاً جديلاً باحترام حقوق الإنسان، وحل مسألة التعدد القومي في الإطار الوطني، وعدت ذلك معياراً لصدقية أي نظام ديمقراطي.

(34) المنظمة الأنثوية الديمقراطية، بيان حول حادثة الحسكة، سوريا، (2004/11/2). <https://shorturl.at/cfCO1>

(35) بيانات تنديد بخطف المطرانين يوحنا إبراهيم مطران حلب للسريان الأرثوذكس وبولص يازجي مطران الروم الأرثوذكس بحلب بتاريخ 23 نيسان/ أبريل 2013. <https://lshtarv.com/tnyurl.com/scknvp8>

(36) بيان بتاريخ 2005/5/24 موقع من 250 شخصية سورية تدعو الأسد إلى الانسحاب من لبنان. <https://shorturl.at/hmGN7>

المدني وكذلك منظمات حقوق الإنسان، وتبيّن أنّ هؤلاء لا يعرفون كثيراً عن المنظمة ولا عن السريان وقضيتهم، وأنهم لا يملكون تصورات واضحة وعملية لحلّ مسألة التنوع القومي في البلاد، وأنّ جلّ معرفتهم وخبرتهم تكاد تقتصر على القضية الكردية، ويُعزى سبب ذلك إلى انشغال معظم أحزاب المعارضة (قبل إجراء المراجعات لاحقاً) بالقضايا الكبرى آنذاك حيث كانت طموحات بعضها وبرامجها تتجاوز الكيان السوري، وبعضها بقي أسيراً لاصطفافات الحرب الباردة التي تصغر وتتضاءل أمامها القضايا الداخلية ومنها قضايا التنوع القومي. هذه اللقاءات خلقت نوعاً من الفهم والتفهم المتبادل، ومهدت الطريق أمام المنظمة للانخراط في الفاعليات كلها التي أقامتها المعارضة في عدد من المدن السورية ولا سيما دمشق، حيث شاركت في المنتديات ولجان إحياء المجتمع المدني. وأصدرت بيانات تستنكر الاعتقالات⁽³²⁾ التي طالت شخصيات المعارضة والناشطين، وشاركت في جلسات المحاكمة والاعتصامات التي دعت لها المعارضة للمطالبة بإلغاء حالة الطوارئ في البلاد، ومثلت المشاركة في الاعتصامات مع قوى المعارضة وشخصياتها نقطة تحوّل في مسار المنظمة، أكّدت من خلالها قدرتها على حسم خياراتها، واستعدادها لتحمل تبعات ذلك من خلال التمرّن على تجاوز حالة الخوف والتردد.

في أثناء انتفاضة آذار/ مارس الكردية في القامشلي عام 2004 أسهمت المنظمة في جهد الوساطة لتخفيف الاحتقان بين الأكراد والعرب، والسعي إلى منع تحويل ما جرى إلى صراعٍ قومي، وذلك بالتعاون مع وفد لجان المجتمع المدني المطعم ببعض شخصيات المعارضة الذي زار القامشلي آنذاك والتقى مع مختلف الفاعليات فيها⁽³³⁾، وقامت بجهد مشترك مع مطران الجزيرة للسريان المطران متى روهم تمثل في عقد لقاءات مع قيادات الحركة الكردية ومع شيوخ العشائر العربية وحثّهم على التزام الهدوء وضبط النفس والتمسك بقيم العيش المشترك والمحافظة على السلم الأهلي. بعد انتفاضة آذار/ مارس بأشهر تظاهر مئات من الشباب السريان الغاضبين في مدينة الحسكة احتجاجاً على

(32) بيانات صادرة عن المنظمة الأنثوية الديمقراطية ذكر بعض البيانات، على سبيل المثال: بيان المنظمة الذي يستنكر اعتقال أعضاء منتدى الأناصي بتاريخ 24 أيار/ مايو 2005.

(33) فايز سارة، "قامشلي 2004: وكأنها اليوم"، موقع المدن، (2019/4/9). <https://lnnk.in/> <https://shorturl.at/hmGN7>

سورية، وبلغته وثقافته السريانية لغة وثقافة وطنية سورية أصيلة، والعمل على حمايتها وإحيائها.

8. سن قوانين تحمي المجتمع من أنواع التعصب والتمييز الديني والقومي كلها.

9. وضع برامج وطنية على أسس علمانية، للتنشئة الاجتماعية والثقافية والتربوية في المدارس السورية، تقوم على نشر ثقافة الديمقراطية وحقوق الإنسان.

10. أن يحفظ الدستور الحقوق الثقافية والسياسية ويضمنها للأقليات القومية كلها في سورية.

11. المساواة الكاملة بين المرأة والرجل في الحقوق والواجبات جميعها وإلغاء أشكال التمييز كافة ضدها.

12. أن يشمل الإصلاح مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية والإدارية كافة، والقضاء، ومكافحة ظاهرة الفساد بمعالجة أسبابها جميعها.

13. استقلال القضاء والفصل بين السلطات القضائية والتنفيذية والتشريعية.

14. إبعاد الجيش عن السياسة وتحييده لتبقى مهمته الدفاع عن الوطن وحمايته.

بعد إجهاض ربيع دمشق وتشديد القبضة الأمنية، استمرت المنظمة في تعزيز علاقاتها مع المعارضة السورية، وتوج ذلك بانضمامها إلى إعلان دمشق للتغيير الوطني الديمقراطي⁽³⁹⁾. وهذا الموقف قوبل بتوجس وحذر وعدم ارتياح من بعض شرائح المجتمع السرياني وحتى من بعض أعضاء المنظمة التي حسمت خيارها بالانضمام إلى المعارضة، حالة عدم الارتياح نجمت عند بعضهم من وجود جماعة الإخوان المسلمين في الإعلان، وعند بعض آخر كانت نابعة من خشيتهم على المنظمة انطلاقاً من معرفتهم

(39) المنظمة الأتورية الديمقراطية واللجنة المؤقتة لإعلان دمشق، بيان مشترك، سوريا، دمشق، 2006/1/7 <https://shorturl.at/wjX37>

انظر: هبة مارديني، "المنظمة الأتورية تدافع عن خيارها المعارض"، إيلاف، <https://tinyurl.com/mu7u56bv>

وطالبت بإجراء إصلاحات عميقة وحقيقية في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والإدارية والتعليمية. ورأت أن عملية الإصلاح هي حاجة مجتمعية دائمة ومستمرة، وتستجيب لمصلحة الوطن والمواطن، ولا يجوز ربطها مطلقاً بالضغوط والمصالح الخارجية، أو بانتهاء الصراعات الإقليمية. وركزت على أولوية الإصلاح السياسي بوصفه المدخل الأساس إلى أي عملية إصلاحية لتجنيب المجتمع أي فوضى أو هزات محتملة قد تؤدي إلى زعزعة الاستقرار والسلم الأهلي⁽³⁷⁾ وعلى هذا الأساس شاركت في عدد من المؤتمرات التي دعت إليها أطراف المعارضة وقدمت أوراقاً تعبر عن رؤيتها ومواقفها، كانت أبرزها الورقة التي قدمها مسؤول المنظمة الأستاذ بشير سعدي في المؤتمر الذي نظمه منتدى الأتاسي عام 2005 إذ تضمنت الورقة مطالب عدّة يمكن إجمالها في ما يأتي:⁽³⁸⁾

1. وقف العمل بقانون الطوارئ والأحكام العرفية.

2. إلغاء المحاكم الاستثنائية كافة والأحكام جميعها التي صدرت منها، كمحكمة أمن الدولة.

3. الإفراج عن المعتقلين السياسيين ومعتقلي الرأي جميعهم من السجون السورية، وطي ملف الاعتقال السياسي نهائياً.

4. منح الجنسية للمحرومين منها من الأخوة الأكراد وغيرهم نتيجة إحصاء عام 1962، وإعادة المنفيين لأسباب سياسية جميعهم إلى الوطن.

5. إصدار قانون ديمقراطي وعصري للأحزاب يأخذ بالحسبان التنوع السياسي والثقافي والقومي في سورية.

6. إصدار قانون ديمقراطي عصري للانتخابات التشريعية والمحلية يحقق التمثيل الصحيح ويضمنه لمكونات الطيف السوري كلها.

7. الاعتراف بالشعب السرياني الأثوري شعباً أصيلاً في

(37) كراس أصدرته المنظمة الأتورية الديمقراطية بمناسبة اليوم البيبي الذهبي لتأسيسها، ص.9.

(38) ورقة المنظمة الأتورية الديمقراطية في منتدى الأتاسي قراها الأستاذ بشير سعدي، دمشق 17أيار/ مايو 2005. <https://shorturl.at/zA17>

سورية القديمة، إضافة إلى اعتمادها لغة رسمية في سورية إلى جانب لغات أخرى.

ج. تعزيز دور المكون السرياني الأشوري، وضمان تمثيل عادل لقواه السياسية في العملية السياسية التي ترعاها الأمم المتحدة.

د. إلغاء القوانين المجحفة بحق مكونات أو فئات معينة في المجتمع السوري ومنها السريان الآشوريين. وإعادة الأراضي والممتلكات التي جرى الاستيلاء عليها في المرحلة الماضية، وتعويض المتضررين تعويضاً عادلاً.

2. على الصعيد الوطني

أ. الجمهورية السورية، دولة مستقلة ذات سيادة، السيادة فيها للشعب، وهو مصدر السلطات كلها، وتقوم على مبدأ المواطنة المتساوية وفصل السلطات، واستقلال القضاء ومبدأ سيادة القانون والتداول السلمي للسلطة عبر انتخابات حرة ونزيهة.

ب. الإقرار الدستوري بأن سورية دولة متعددة القوميات والثقافات والأديان، والشعب السوري يتكون من عرب وكرد وسريان آشوريين وتركماني وغيرهم، ويضمن الدستور حقوقهم القومية.

ج. تأكيد وحدة سورية أرضاً وشعباً، والعمل على استعادة أراضيها المحتلة بالطرائق السلمية ووفق قرارات الشرعية الدولية.

د. نؤمن بأن الحل السياسي للأزمة السورية وفق قرارات الشرعية الدولية وأهمها القرار 2254، هو السبيل الأمثل لإنهاء الأزمة السورية بالشكل الذي تتحقق فيه أهداف الشعب السوري وتطلعاته في تحقيق التغيير الديمقراطي.

هـ. نرى في اللامركزية النظام الأمثل في إدارة البلاد مع المحافظة على وحدة الأراضي السورية، لحماية التعدد القومي والثقافي، وضمان أوسع مشاركة شعبية في الإدارة والتوزيع العادل للسلطة والموارد وتحقيق التنمية المتوازنة والمستدامة للمناطق كلها في سورية.

ببنية النظام القمعية وطبيعته، وليس خافياً على أحد أن السوريين معظمهم في تلك المرحلة كانوا يُحاذرون الاقتراب من المعارضة بسبب عقدة الخوف المتجذرة في النفوس منذ عقود خبروا فيها قمع النظام وبطشه.

رابعاً: رؤية السريان المستقبلية لبناء الدولة السورية الوطنية والديمقراطية

بعد قيام الثورة السورية في آذار/ مارس 2011، أطلقت الأحزاب والقوى السريانية الآشورية في سورية -وهي المنظمة الأثورية الديمقراطية، حزب الاتحاد السرياني، والحزب الآشوري الديمقراطي)- ورشات حوار في ما بينها على الرغم من وجودها في أطر مختلفة، فالمنظمة الأثورية تنضوي في أطر المعارضة الرسمية، بينما ينشط حزبا الاتحاد السرياني والآشوري الديمقراطي تحت مظلة مجلس سورية الديمقراطية (مسد). وذلك بهدف توحيد المطالب القومية، وبلورة رؤية مشتركة لسورية المستقبل. ومؤخراً توصلت المنظمة إلى تفاهم ثنائي مع حزب الاتحاد السرياني،⁽⁴⁰⁾ بينما تحفظ الحزب الآشوري الديمقراطي على الانضمام إلى هذا التفاهم بسبب تحفظه على التسمية مع قبوله بالبنود والمطالب السياسية كلها التي تضمنها التفاهم. والحوار مع هذا الحزب مستمر من خلال لجنة التنسيق والتشاور التي تضم الأحزاب الثلاثة.

ويمكن تلخيص الرؤية السريانية المستقبلية بالنقاط الآتية:

1. على الصعيد القومي

أ. الاعتراف الدستوري بالوجود والهوية القومية للسريان الآشوريين، وضمان حقوقهم القومية والسياسية والثقافية.

ب. الاعتراف باللغة السريانية لغة وطنية بوصفها لغة

(40) وثيقة تفاهم سياسي بين حزب الاتحاد السرياني والمنظمة الأثورية الديمقراطية بتاريخ 1 نيسان/ أبريل 2022.

منصب الرئاسة بغض النظر عن الدين أو المذهب أو المعتقد أو القومية أو الجنس.

م. حث المجتمع الدولي والأمم المتحدة على العمل الفوري والجاد من أجل إطلاق سراح الأسرى والمعتقلين وكشف مصير المفقودين والمغييبين قسرًا، والسماح بوصول المساعدات الإنسانية إلى الأهالي في المناطق كلها، وتمكين اللاجئين والنازحين من العودة الطوعية الى مناطقهم الأصلية بأمان وسلام.

ن. اعتماد مبدأ العدالة الانتقالية وتطبيقها.

ش. ضمان المحافظة على مصالح المكونات القومية والدينية في البلاد على أساس التمييز الإيجابي لهم، ومنع أي غبن بحقهم سياسيًا واقتصاديًا وخدميًا، وضمان الحقوق التشريعية لهم عبر برلمان ذي غرفتين، تخصص الغرفة الأولى لممثلي الشعب المنتخبين، والغرفة الثانية لممثلي المناطق والقوميات والأديان، تحدد مهمات الغرفتين من قبل مختصين وبالإستفادة من تجارب الدول الأخرى في هذا المجال.

خامسًا: خاتمة

عانى السوريون بمختلف انتماءاتهم ومنهم السريان، القمع البعثي، وتسلب العائلة الأسيديّة وأذرعها الأمنية على مدى خمسة عقود، أهدرت خلالها كرامة الإنسان، وانتهكت حقوق الإنسان على نطاق واسع بأحط الأساليب والممارسات، وعمّ الخراب والدمار في أرجاء البلاد التي دُفِعَت إلى مشارف التقسيم، فيما شرّد أبناءها في أصقاع العالم، ومن بقي فيها، أصبح هاجسهم الحصول على لقمة العيش بعد أن دفعتهم هذه السلطة إلى حافة الجوع.

السريان مثل بقية السوريين، تباينت ردادات أفعالهم تجاه هذه السلطة الغاشمة، فمنهم من تماهى معها وربط وجوده ومصالحته باستمرارها، ومنهم من اختار التقوقع والانعزال عن شركائه وعن التعاطي بالشأن العام ضمانيًا لسلامته، وكثيرون فضلوا الهجرة على دفعات بحثًا عن

و. أنّ بناء الهوية الوطنية السورية الجامعة، يحتاج بالضرورة إلى قيام دولة وطنية تتبنت قيم الحداثة والديمقراطية، عمادها مبدأ المواطنة الكاملة والمتساوية التي تقتضي عدم تعريف الدولة بهوية أحد مكوّناتها القومية أو الدينية. إن الهوية الوطنية الجامعة التي يجب ان تعبر عن السوريين جميعهم، هي الهوية التي تهمل من حالة التنوع القومي والديني والثقافي وتجسيده في الرموز السيادية للدولة كالعلم والنشيد الوطني والعمله وكذلك في الإعلام والتعليم ومختلف الجوانب الثقافية. ديانات الشعوب والأمم جميعها، والأفكار والمعتقدات الفلسفية هي تراث إنساني عام يجب احترامه، وندعو إلى حيادية الدولة تجاه الأديان والقوميات وضمان حرية الاعتقاد والإيمان وممارسة الشعائر وتجرىم التمييز على أساسه، وندعو الى الاعتراف الدستوري بالديانة الإيزيدية.

ز. نتبنت الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والمواثيق والعهود الدولية المكمله له، وتلك المتعلقة بحقوق المرأة والقوميات والشعوب الأصلية، بوصفها أرقى منجز حضاري توصلت إليه البشرية. وندعو إلى تثبيتها في الدستور السوري الجديد.

ح. تتمثل مهمة الجيش والأجهزة الأمنية في الدفاع عن الوطن وحماية أمنه واستقلاله وسلامة أراضيه، وحماية المواطن والمؤسسات، ويمنع على منتسبهم ممارسة النشاط السياسي أو الانتماء إلى أحزاب وتيارات سياسية ما داموا في الخدمة.

ط. تضمن سورية المساواة التامة بين المرأة والرجل، كما تضمن أيضًا تمثيل المرأة ومشاركتها في صنع القرار في مؤسسات الدولة السورية جميعها. وتعزيز دور الفئات الشابة، وتمكينها للمشاركة بفاعلية في الشأن العام.

ك. إلغاء القوانين والمحاكم الاستثنائية وقراراتها كافة، ورفض عمليات التغيير الديموغرافي التي جرت وتجرى في سورية.

ل. يضمن الدستور حقوقًا متساوية للسوريات والسوريين جميعهم في تقلد المناصب في الدولة بما فيها

المصادر والمراجع

1. إبراهيم. يوحنا، دولباني ناسك ماردين: مار فيلكسينوس يوحنا دولباني، حياته ومؤلفاته، ط1، (حلب: دار ماردين للنشر، 1999).
 2. آجي. عزيز، موجز تاريخ المنظمة الأثورية الديمقراطية من عام 1957- 1999، (القامشلي: إصدار خاص، 2001).
 3. بيث. شموئيل روبين، كراس: الأثوريون في مؤتمر الصلح في باريس 1919، ط1 (دهوك/ العراق، دن، 2000).
 4. زيتون. عبود، نعوم فائق والنهضة السريانية الأثورية، ط1، (ألمانيا/ فيزيادن: دن، 2000).
- الحرية والكرامة وحياة أفضل بعد أن ضاقت سُبل العيش في وطنهم، وبعضهم امتلك قدرًا من الشجاعة لينضم إلى السوريين المطالبين بالحرية والتغيير على الرغم من علمهم بفداحة هذا الخيار، والفئة الأخيرة تجسّدت في الشخصيات السريانية المنضوية في أحزاب المعارضة وبعض رجال الدين الذين صدحوا بكلمة الحق ووقفوا مع مطالب الشعب فجري تغييرهم، وتجلّت أكثر في أحزاب الحركة القومية السريانية وفي مقدمتها المنظمة الديمقراطية التي تعمل من خلال أطر المعارضة الرسمية ومع جبهة السلام والحرية وغيرها من القوى الوطني الديمقراطية، على مواصلة عملية التغيير الديمقراطي، إلى أن تتحقّق تطلعات السوريين في بناء دولة وطنية ديمقراطية حديثة تقوم على أسس العدالة والمساواة والشراكة بين السوريين كلهم.